

المؤتمر الإسلامي الدولي

لـ لاهور — الباكستان

١٩٥٨/١/٨ — ١٩٥٧/١٢/٢٩

تقرير مقدم من دكتور محمد عبد الغفر نصر أستاذ علم لياحة المساجد بجامعة الاسكندرية

لقد مثلت جامعة الاسكندرية في المؤتمر الاسلامى الدولي الذى انعقد بمدينة لاهور الباكستان ، وامتد انعقاده من ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٧ إلى ٨ يناير سنة ١٩٥٨ . فكانت فرصة عالمية عظيمة كما كانت رحلة مفيدة . وقد آثرت من بين أعضاء الوفد المصرى إلى المؤتمر أن آخذ الطريق الجوى إلى الهند فباكستان ، ومن ثم أتيج لى أن أزور شبه القارة الهندية بدولتها الحديثتين — الهند وباكستان — مما له أكبر النفع للمتعقب لشئون لياحة العالمية والمتخصص فى دراسة العلاقات الدولية .

ولو أن هذا المؤتمر قد انعقد لدراسة الإسلام من الناحية الموضوعية ، إلا أن كل لحظة من لحظاته وحركته من حركاته قد اصطفت بطابع شخصى أكبه ديناميكية محسوسة وإن كان فى كثير من الأحيان قد أساء إلى هدفه الموضوعى . وإن أبيل تلك الجوانب الشخصية فى حياة أعضاء المؤتمر ما اتصل منها بضيافة الباكستان — جامعة وشعبا -- من الدكتور ميان أفضل حين مدير جامعة البنجاب الذى اتصل بئنه بهاره فى رعايته لكل صغيرة وكبيرة من شؤون المؤتمر وأعضائه فى تفاصيل حياتهم ومقامهم . والدكتور بشر مسجل الجامعة وحرم الدكتور بشر عميدة كلية الاقتصاد المنزلى ، والدكتور أفضل سكرتير مجلس التعليم الثانوى بلاهور ، وغيرهم من عمداء كليات الجامعة وأساتذتها وطلبتها . ولم يكن أعضاء المؤتمر ضيوفا فقط على جامعة البنجاب التى عقد المؤتمر بدعوة منها وتمت رعايتها ، وإنما وجدوا الإكرام يسمى إليهم من كل هيئة ثقافية فى لاهور ، سواء كانت حكومية أم أهلية .

وفتح حتى الأفرد من المشغلين بالأعمال العامة بيوتهم لأعضاء المؤتمر .
إذ اعتبرت مناسبة عند المؤتمر الإسلامي بباكستان مناسبة شعبية عامة شاركت
فيها الصحافة والهيئات العامة وشارك فيها الشعب . وليس هذا بمستغرب
على بلد ناشئ يحاول إقامة ولاء الدولة فيه أول ما يقيم على الإسلامى .

وكان موضوعنا الذى اخترنا تقديمه وإلقائه فى هذا المؤتمر هو " دور
الإسلام فى تحقيق السلام العالمى " وهو يقع فى القسم التاسع من بحوث المؤتمر
الذى قسمت إلى تسعة أقسام أقيمت كل مجموعة منها فى يوم من الأيام . وتشتمل
هذه الأقسام على ما يأتى :

- ١ - الثقافة الإسلامية : ماذا نعنى بها .
- ٢ - نظرية الدولة فى الإسلام .
- ٣ - تحدى الأفكار والقيم الاجتماعية الحديثة للمجتمع الإسلامى .
- ٤ - دور الاجتهاد ومجال التشريع فى الإسلام .
- ٥ - موقف الإسلام من العلم .
- ٦ - أثر الإسلام فى تاريخ العرب وثقافته .
- ٧ - الاقتصاد فى البيان الاجتماعى للإسلام مع الدراسة الخاصة
لملكية الأرض وحيازتها .
- ٨ - موقف الإسلام من العنائد الأخرى وعلاقته بها .
- ٩ - دور الإسلام فى تحقيق السلام العالمى .

ولقد أكدنا فى بحثنا مدى ما يقوم به الإسلام من حيث مبادئه الانسانية
العالية فى إرضاء الحاجات والقيم الضاغطة الآن على عقول المعاصرين طلبا
لحل يوفق وتطور المجتمع البشرى إلى وحدة مترابطة فى مسائل المادة ومنفصلة
فى مسائل السياسة . وأبرزنا فى بحثنا تفرد الإسلام بتأكيد وحدة الجنس
البشرى ، وإباحت تنوعه وانقسامه إلى أمم مختلفة فى الوقت نفسه . ولكن
الخلاف يقوم فى إطار من الاتحاد ، والتنافس بين هذه الأمم يقوم على الخير

العام من ناحية وفي إطار من التعاون من ناحية أخرى . وإن هذا التصور للعلاقات الإنسانية لو ساد بين البشر وشكل سلوكهم كأفراد مستقلين وأعضاء في أمة متباينة ثقافيا ، لأدى إلى هبوط النعرات العنصرية والطائفية والمذهبية . ولأيد دعائم المساواة والأخوة بين الناس جميعا . وأخذنا بعد ذلك نبين أن مبادئ الإسلام بعد توطيدها هذا التصور والمسلك الإنساني ، صارت لنا أن أساس العلاقات بين الشعوب والأمم إنما تقوم على السلام والتعايش السلمي . وليس التعايش السلمي في الإسلام أمرا سلبيا وإنما هو إيجابى . فالسلم مطالب بإقامة علاقاته مع غير المسلم على البر والتعاون والإحسان . وأبعد من ذلك فهو مطالب بأن يلتزم السلم وألا يلجأ إلى الحرب إلا دفاعا عن النفس ، وأن ينتهز كل فرصة لمسائلة العدو إن هو معى إلى ذلك واستئناف علاقات التعامل الإيجابى بعد وقف العدوان مباشرة . والإسلام في كل هذا إنما يقوم على دستور من الأخلاق العالمية يتسع لشعوب أمة العالم جميعها دون أن يختص بذلك أمة دون أخرى ، شأن الأخلاق القومية في الدولة الحديثة . ودعامة الأخلاق الإسلامية احترام التردد لذاته وتمجيد العقل واتخاذ أساس التعامل بين البشر والدعوة إلى إقامة المجتمع القومى والدولى على العدل . وخطيت بالعودة إلى العقل في العلاقات الإنسانية أن تقضى على التعصب والصراع المذهبي المعاصر ، كما أن العدل الدولى ما هو إلا امتداد للعدل في المجتمع القومى ، ولو أن دعائم المجتمعات القومية أقيمت على العدل لما قام الإغراء عند الحكام والطبقات الحاكمة في بعض المجتمعات على العدوان واستغلال الضعيف لصالح القوى على نطاق دولى بعد مباشرة ذلك على نطاق محلى . وإن في هذه المبادئ الجوهرية في الإسلام علاجا فعلا لكل مظاهر الانفصال والكراه والعدوان التي تهدد العالم المعاصر بالوبال والدمار .

ويبدو من هذا أننا حاولنا معالجة الإسلام من حيث المبادئ الأساسية ، ولم نكن وحدنا في هذا المنهج . فكثير من الباحثين اتجهوا إلى إحياء مبادئ الإسلام الأولى واستلهامها في جوانب بحوثهم المختلفة . ولكن عددا آخر كبيرا من الباحثين كانوا يؤكدون دراسة الإسلام في تاريخه وشعوبه ، وفي ماضيه وحاضره . وتباينت المناهج والآراء في فهم الإسلام وتطبيقه

تباينا لم يسمح بتقارب النظر أحيانا بل وأدى إلى مناقشات حارة حادة جمعت لبيب الاعتقاد وعاطفته إلى عنف الحاجة وصراعها . وقد أتيح لى أن أساهم في هذه المناقشات المختصة ، وأن أعلق على ملاحظات الدكتور شيلور (Spuler) عن موقف الإسلام من الإنسانية ، وملاحظات الدكتور جرينباوم (Grunbaum) عن الإسلام والقومية وملاحظات الدكتور يونج (Young) عن الإسلام والقانون الطبيعي ، وملاحظات الدكتور لامبتون (Lambton) عن الإسلام والسلطة ، كما علفت بالتقدير على بحث الدكتور برنارد لويس (Bernard Lewis) عن الإسلام والحركة التحررية عند مفكرى العثمانيين في العصر الحديث .

ولا بد لنا في هذا المقام من الإشارة في إيجاز إلى نظام المناقشة في المؤتمر . فلقد وزع الأعضاء في جلوسهم توزيعاً يقوم على مواطنهم وانشابهم إلى دولهم الخاصة . فكان هناك الوفد المصرى والسورى والباكستانى والرومى والهندى والأمريكى والصينى والانجليزى وغير ذلك من الوفود الثلاثة والثلاثين التى اشتركت في المؤتمر . ولقد كانت مناقشات المؤتمر عامة ، فيقوم العضو الباحث ويلقى بحثه في الحاضرين الذين كان يشاركهم في حضور الجلسات رجالى الصحافة والشاهدون من أفراد الشعب الباكستانى وغيرهم . ولم يلجأ أعضاء المؤتمر إلى دراسة موضوعاتهم في لجان خاصة ، كما حدث مثلاً في مؤتمر الحريجين العرب لبحث قضايا الوطن العربى : الذى انعقد بالقدس في سبتمبر سنة ١٩٥٥ وكنت عضواً فيه ، مما يسر المناقشة في جو محدود هادئ نسيان . وقد ذكرنى مشهد تقسيم أماكن قاعة المؤتمر حسب الدول ورفرفة أعلامها على تلك الأماكن باجتماعات هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة التى تعقد في قاعات ترسم رسمياً يكاد يجعلها خريطة جغرافية لحالة العالم السياسية ، فقلل هذا من تأثير جو الجامعة المرجو من توجيه المناقشات توجيهاً علمياً هادئاً . وإن هذا التقسيم والانفصال قد منع الاندماج والاختلاط إلى حد كبير ، وحال دون اعتبار الأعضاء المشتركين في المؤتمر كأفراد علماء ينشدون البحث الموضوعى في ميدان ثقافى عظيم . فسارت السياسة القومية والدراسة جنباً الى جنب ،

وعقد ذلك من سير المؤتمر وألقى في بعض الأحيان حملا ثقيلًا على كامل بعض العلماء ممن أمتازوا بالحس والذوق والحرص على النهج العلمي والعلاقات الإنسانية في جمهورية العلم . ولعل ذلك مرجعه إلى اختلاف في الأغراض بين أعضاء المؤتمر القادمين من جميع أنحاء المعمورة ، مما أعفى منه أعضاء مؤتمر مقارب في الغرض مثل المؤتمر الآسيوي الأفريقي الذي أتاحت لنا عضويته أن نقدر أهمية وحدة الغرض في نظام المؤتمرات وبسر سيرها .

ولكن الإرهاق الذي سببته حرارة المناقشة واندفاعها ومحاولة تفسير الإسلام تفسيراً غير موضوعي في بعض الأحيان ليخدم أهداف أهل التبن أو أهل اليسار ، قد تضاعف أمام الفرصة العظيمة التي هيأها المؤتمر للاستماع برؤية الإصديقاء القدماء من شرقيين وغربيين . وخلق صداقات جديدة في عالم الفكر ، والحياة العميقة المتدفقة في لحظة من لحظات الإسلام ونوره المبين . فلقد أظهر المؤتمر أن رابطة الإسلام بعيدة الجذور عميقة الأصول وأن رحابه أوسع من أن يهددها تحدى الأفكار والقيم الاجتماعية والسياسية الحديثة ، فقد التقى المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها كأخوة ، وتخطوا بذلك حواجز القومية والرأسمالية والشيوعية ، ونادوا بأن الإسلام يعطيهم مزايا النظم الحديثة ، ويعطيهم فوق ذلك ما لا تعطيهم إياه - من حياة الروح . كما أن المؤتمر أتاح الفرصة النادرة من التقاء عدد عديد من المشتغلين بالدراسات الإسلامية في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا ، ومهما كان الاختلاف في الرأي بين علماء المسلمين والعلماء المستشرقين من ناحية ، بل وبين علماء المسلمين أنفسهم ، فإن جوانب ذلك الاختلاف لم تكن جديدة ، بل هي مدونة في مؤلفات المؤلفين من أعضاء المؤتمر وهي معروفة ، وإنما الجديد صراع الفكرة والفكر في جو من المناقشة الحية والأخذ والرد ، مما يبرر عقد هذا المؤتمر مرات ومرات ، فالتمعارف الشخصي كغليل بالقضاء على الآراء الفجة أو المغرضة في الدراسات الإسلامية .

٢٢٥

في حفل لإسراء الحجر الأساسى للمقر الجديد لجامعة البنجاب . وكان مما كُرِّمت به مصر أن تجعلت كلمة الأزهر - أقدم الجامعات الإسلامية - أولى الكلمات في الحفل . وألقى الأستاذ محمد خلف الله كلمة جامعة الاسكندرية - أصالة عن نفسه ونيابة عن زميله - فحيا جامعة البنجاب ، وتعنى لها المزيد من التوفيق في خدمة الثقافة الإسلامية ، وعبر عن رغبة جامعة الاسكندرية في أن تزداد الصلات العلمية توثقاً بينها وبين الجامعة الباكستانية الشقيقة .

٧ - الاقتصاد والنظام الاجتماعي في الإسلام .

٨ - موقف الإسلام من العقائد الأخرى وصلاته بها .

٩ - نصيب الإسلام في تقدم السلام العالمي .

وجرى نظام الندوة على أن تلقي خلاصات البحوث في الجلسة الصباحية من كل يوم ، وتدور المناقشات حولها بعد الظهر وفي المساء . وكانت اللغتان الرسميتان العربية والانجليزية .

وقام وفد مصر بدور بارز في نجاح الندوة ومناقشتها ، نظرا لتعدد

وكان البعثان اللذان ألقاهما ممثلا لجامعة الاسكندرية هما :

١ - "موقف الإسلام من حرية العقيدة والفكر" - للأستاذ محمد خلف الله - وقد ألقى في الجلسة الصباحية الأولى لندوة .

٢ - "مساهمة الإسلام في السلام العالمي" - للدكتور عبد المعز نصر - وألقى في الجلسة الأخيرة .

وفي الجلسة الختامية لندوة وجه رئيس وفد مصر - باسم الحكومة المصرية - الدعوة لعقد الدورة القادمة لندوة في القاهرة : فوافقت الجمعية العامة بالإجماع ، وشكرت مصر على دعوتها ، وألفت لجنة من الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور أفضل حسين لتتصل بالحكومة المصرية وسائر الهيئات المشتركة في الندوة في شأن تحديد موعد الدورة وما يتصل بها .

وقد شكر الجميع تهيئات الباكستانية رسمية وغير رسمية - ولجامعة البنجاب بوجه خاص - ما بذلت من جهد موفق في الإعداد للندوة ، وفي انهر على راحة الأعضاء ، وتهيئة الفرص لهم لزيارة المعالم التاريخية والآثار الإسلامية والمؤسسات العلمية والدينية في الباكستان .